Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طريق السوء إلا حينما تحول الآخرون .

وتتجمع أحزان البحترى كلها وتشاؤمه كله حتى يصل إلى اليأس من صلاح الذين يتحدث عنهم ، موضحا أنه لم يدفع إلى اليأس طفرة واحدة ، وإنما بعد أن عجز صبره ، ونفد جلده ، فيقول :

عَزَّيتُ نفسى بِبَرْد اليأس بعدهم وما تَعَزَّيتُ من صبرٍ ولا جَلَد

وقد يقال : فإن الشكوى من الزمان موجودة فى كل عصر وبيئة ، وعلى كل لسان من الشعراء وغير الشعراء ، فما ميزة البحترى فى ذلك ؟

والجواب أن هذا من حيث العموم حق ، ولكنه من حيث الأفراد ليس كذلك . بمعنى أن شيوع الشكوى بصفة عامة يختلف عن تركيزها فى شخص معين ، فقد نجد فى كل عصر وكل مجتمع من يشكو من الزمان ، لأنه أصابه فى حادث معين ، أو مناسبة خاصة بما يكره .

أما البحترى فإننا نحس أن سخطه على الزمان لايرتبط غالبا بحادث معين فقط ، ولا بالنظر إلى حقبة بذاتها ، وإنما يبدو أنه سخط ثابت ، سواء وجدت مناسبة أو لم توجد . ولذلك قلما نجده راضيا عن الزمان ، أو مادحا إياه ، وهذا لاينفى وجود شعراء آخرين سواء فى عصره أو غير عصره يحملون نظرته إلى الزمان ، ولكنهم سيكونون أيضا أفرادا متميزين بهذا الطابع الذى يعد من النزعات المميزة أو البارزة .

ونزعة البحترى فى السخط على الزمان ليست نابعة من فلسفة أو خبرة مكتسبة ، وإنما هى صدى لنفسيته التى تقلبت عليها أحداث كثيرة غير سارة ، فطبعتها بهذا الطابع الساخط الغاضب .

وإذن فالبحترى فى كل وحه من وجوه أغراضه يبرز لنا نفسيته ومشاعره ، وخصوصا فى مطالعه التى يعنينا حديثها ، وقد لحظ العلماء والنقاد القدماء هذه الميزة فى البحترى ، وعلى الأخص اهتمامه بالمطلع ، كما يقول القاضى الجرجانى فى سياق حديثه عن موقف الشعراء من الاستهلال والتخلص والخاتمة ، حيث يقول (ولم تكن الأوائل